الجمهورية العربية الليبية
وزارة الإعلام والثقافة



القرآن ... والقومية العربية








الإدارة العامة للإستعلامات

الجمهورية العربية الليبية
وزارة الإعلام والثقافة



خالد علي بورقيبة

محمد أبو يوسف الدريشي

القرآن ...

والقومية العربية

الإدارة العامة للاستعلامات

خالد علي بورقيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تسْأَلُون » صدق الله العظيم.

(قرآن كريم)

« أحِبُّ العرَبَ لِثَلاثٍ : لأنّني عرَبِيٌّ ، والقرُآن عرَبيٌّ ، ولِسان أهْلِ الجنّةِ فى الجنة عرَبيٌّ » .

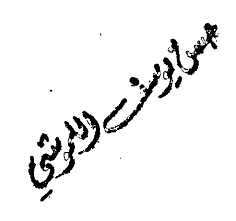
(حديث شريف)

« أصل الإنسان أنّ له قوماً ينتمي إليهم وله دم وصلة رحم ، قبل أن يكون مسلماً وقبل أن يكون مسيحياً ، وقبل أن يكون بوذياً ، وقبل أن يكون أى شيء آخر ، هو إنسان له قوم ، الذين يذكرهم القرآن : قوم عاد ، قوم ثمود ، قوم صالح . . هذه أقوام .

القرآن نفسه بيذكر كلمة أقوام وكلمة قومية . أقوام تعنى القومية وهى اشتقاق من هذه الصلة الاجتماعية ، أو صلة القرابة أو الأصل ، أو جماعة تعيش ، انسان ينتمى إلى قوم وأن له نسل وله سلالة ، وله صلة قُربَى قبل أن يكون له أى دين . . . »

(العقيـــد معمر القذافى)

من محاضرته يوم ١٠ شعبان ١٣٩٢ هـ الموافق ١٦ من سبتمبر ١٩٧٢ م عن « ملامح النظرية الثالثة » فى افتتاح الدورة التثقيفية الموسعة التى نظمتها الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى بمعهد نصر الدين القمى بطرابلس .



مقدمة

كانت حياة العرب في الجاهلية حافلة بالمتناقضات في شتى المظاهر الدينية والاجتماعية والأخلاقية :

ـ ففي مجال العقيدة كان أغلبهم من الوثنيين ، وعَبَدة الأصنام وفريق منهم يعبدون الكواكب والنجوم ، وآخرون يعتنقون الديانات الواردة من الصين والهند وفارس .

ـ وكانوا يعيشون في قلق دائم ، ونزاع مستمر ، وكانت نيران الحروب بينهم تشتعل لأوهى الأسباب : فإحدى هذه الحروب ـ مثلاً ـ كان سببها مقتل ناقة تملكها امرأة عجوز تسمّى البَسُوس وقد استمرت هذه الحرب أربعين سنة . وكان القوي يطغى على الضعيف ، والضعيف يتحالف مع غيره ليثأر لنفسه من القوي وكانوا يقتلون أولادهم خشية الفقر ، ويئدون بناتهم تجنباً للعار .

ـ وكانوا ينكرون على المرأة صفة الانسانية حتى انهم كانوا يشتركون في الزوجات ، وكانت النساء يتبرّجن . وكانوا يشربون الخمر ويلعبون الميسر ، ويأكلون أموالهم بينهم بالباطل ، ويسخرون من بعضهم البعض ويتنابذون بالألقاب وينهبون ويسلبون .

ويطول الحديث عن مظاهر الفساد في الجاهلية . ولكن لم يكن المجتمع العربي هو وحده الذي بلغ هذه الدرجة من الفساد والانحلال بل كان العالم كله قد وصل إلى هذه الدرجة في القرن السادس الميلادي قبل ظهور الاسلام .

وعلى الرغم من ذلك فقد كان العرب يتصفون بصفات حميدة فاشتهروا بالكرم والشجاعة والإباء والمروءة ونجدة الملهوف وحفظ العهد والدفاع عن المبدأ . . . وهذه الصفات تجعل منهم مادة طيبة وصالحة لبناء مجتمع قوي متماسك ، فكانوا أهلاً لحمل رسالة الاسلام والنهوض بمسئولية الدعوة والتبليغ .

وقد جاء الاسلام رحمة للعالمين ، وأرسل رسوله هادياً ومبشراً ونذيراً ، يدعو إلى الحق :

في العقيدة « قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أحَدٌ » .

– في العبادة « ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إلَهَ إلاّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ فاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وكيل » .

– في المعاملة « كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أنفُسِكُمْ » .

– في السلوك « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْر » .

ودعوة الحق واحدة ، وإن كان لها صور وجوانب : فالدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده في العبادة والاستعانة والدعوة إلى مكافحة الظلم والطغيان وإقرار العدل بين الناس ، وإلى تطهير النفوس والمجتمعات من مفاسد الأخلاق ونبذ الأمور الشخصية في سبيل الصالح العام والدعوة

إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكَر ، ونشر دين الله ، كما هو ، وكما أراده الله . هذه كلها دعوة إلى الحق ، والدعوة إلى الحق هي دعوة إلى الله ، لأن الله هو الحق .

وفضل الإسلام على العرب والعالم لا يتّسع المقام للإحاطة به ، ويكفي أن نعرف أنّه قضى على كل مظاهِر الفساد في جوانب الحياة المختلفة وكان كتابُهُ دستوراً يهْدي للتي هي أقوم .

وقد جعل الإسلام من العرب أمة ذات كيان حضاري باق إلى الأبد وكانوا هم أهلاً لبناء مجتمع مسلم قوي متين يحمل أمانة الاسلام وينشرها لا في الجزيرة العربية فقط ، بل في جميع أقطار الأرض .

ولما انتشرت الدعوة الاسلامية وامتدت الفتوحات الاسلامية تحت راية العرب شرقاً وغرباً ، وتجسد للأمة العربية كيان حضاري باق إلى الأبد ، ثار الحقد في نفوس الأعاجم والمستعربين من الفرس والروم واليهود وغيرهم ، ولما كانوا يعرفون أن مصدر قوة العرب هو كتاب الله : فقد بدأوا يتآمرون عليهم ، ويحاولون غزوهم فكرياً .

وكان أول هدف لهم هو طمس وتدمير المعنى القومي للأمة العربية في القرآن الكريم ، ثم عملوا بعد ذلك على تفتيت الأمة العربية ، عن طريق الحركات الشعوبية والاقليمية التي ظهرت بين المسلمين في فترات ضعف الدولة العربية الاسلامية وقد ظلت هذه الحركات تختفي حيناً وتظهر حيناً آخر ، واتخذت أشكالاً تنظيمية مختلفة ، لكن هدفها جميعاً كان محاولة تفتيت الأمة العربية وضرب قوميتها وتجمّعها القائم على وحدة اللغة والعادات والتاريخ . . .

والجذور الأولى لهذا الاتجاه نجدها في موقف الخوارج من الصراع الذي نشب على الخلافة بين علي ومعاوية ، فقد انتهز الخوارج فرصة هذه الخلافات ورفعوا شعاراً بأنّه لا حق للاثنين في الخلافة لأن الحكم لله . وفعلاً الحكم لله ، ولكنهم لم يكونوا مخلصين في رفع هذا الشعار وإنما كانوا يهدفون إلى إزاحة العرب عن موقع الخلافة الاسلامية ولذلك تلقّف هذه الدعوة الشعوبيون والحاقدون من الأقليّات الأخرى غير العربية التي دخلت في الاسلام للتشكيك والتهديم . . تلقّفها العجم والكردستان والتركمان والأرمن وغيرهم .

ورغم أن حركة الخوارج بدأت تحت شعار الحرص على الاسلام إلا أنها سرعان ما تحولت إلى تجمع عنصري شعوبي بسبب انتماء غير العرب من المسلمين إليه وإسهامهم في تغذية النزعات الاقليمية والشعوبية في تبديد جهد الأمة العربية وتعويق مسيرتها الحضارية والتي أفضت فيما بعد إلى صراع النحل والمذاهب والملل التي فرقت الأمة العربية الاسلامية وأتاحت لأعدائها أن ينقضّوا عليها .

حقـــائـــق

ولقد أكد الأخ العقيد في أكثر من مناسبة وخاصة في لقائه مع طلبة كلية الطب ببنغازي يوم الاثنين ٧ من مايو ١٩٧٣ م — عدة حقائق تتصل بموضوع القومية العربية ، منها :

— أن حركة الاخوان المسلمين في العصر الحديث هي امتداد طبيعي للحركات الشعوبية الحاقدة على الأمة العربية والقومية العربية ، فقد قامت

تحت نفس الشعار وهو ادّعاء الحرص على الاسلام ، وتحت هذا الشعار هاجمت القومية العربية وافتعلت صراعات شعوبية كثيرة باسم التحرك داخل إطار الاسلام وبدا الأمر وكأن هناك تصادماً بين القومية العربية وعالمية الاسلام .

ـ ان العلاقة بين الأمة العربية كقومية . . والاسلام كرسالة إنسانية علاقة عضوية وثيقة . . الأمة العربية هي التي حملت رسالة نشر الاسلام في أرجاء الأرض لبني البشر جميعاً ، وهي لم تصبح مؤهلة لهذه الرسالة الخالدة إلا عندما توحدت تحت راية الاسلام .

ـ ان أي هجوم أو تفتيت أو إضعاف للأمة العربية هو في حقيقته إضعاف للمسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها ، لأن الاسلام لم ينتشر إلا بأبناء الأمة العربية .

ـ انّه ، وهذه نقطة تاريخية غاية في الأهمية ، بينما نجد الجذور البعيدة لحركة الاخوان المسلمين تمتد إلى الشعوبية القديمة للعجم وغير العرب فإنّنا نلاحظ أن البذور التكوينية الأولى للحركات الشيوعية ترجع إلى الأقليات . والذين أدخلوا الشيوعية إلى الوطن العربي كانوا من الأرمن والتّركمان واليهود ، وكانت هذه العناصر تنشط بدافع من كونها تمثل بالأساس تجمعات نسبية وعليه فإنهم معاً سواء أكانوا من الاخوان المسلمين أو الشيوعيين ينتمون إلى هذه الأحزاب بدافع تحقيق وجودهم ، إذ أنّه من خلال الأممية تتحقق لهم المساواة . فالشيوعيون إذن لا ينطلقون من منطق التقدمية أو بسبب « البروليتارية » والعمال ، وإنما بسبب التوحيد الأممي الذي يؤمن للأقليات الشيوعية حقوقهم في الحكم وفي تولّي المسئوليات لأن الشيوعية تسمح بذلك . وبهذا يتضح أن الأقليات استثمرت

الصراع على مستوى حركات التاريخ لغاياتها وليس حباً في فكر إسلامي أو شيوعي . وإنما كملجأ للدفاع عن الأقلية .

– انّه ليس هناك أي تناقض بين مفهوم القومية العربية وبين مفهوم الاسلام . ويؤكد هذه الحقيقة بالذات أن رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم – كان إماماً للقومية في مثلها الأعلى ، ورسولاً للانسانية في قدوتها الحُسنى . فقد كان صلى الله عليه وسلم راضي النفس بعروبته ، يحمد الله لأنّه ولد يوم أعز الله العرب ونصرهم على دولة الأكاسرة ، وكان يحب قومه ، ولا يحب مَن يكرههم ، فلا يكره العرب إلا منافق ، ولا يخلص في عقيدته من لا يخلص في رعايتهم وعرفان حقهم . وقد كان سلمان الفارسي صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشيره ، قال له الرسول يوماً : « يا سلمان ! لا تبغضني فتفارق دينك » قال سلمان رضي الله عنه : « كيف أبغضك وبك هدانا الله ؟ » قال صلى الله عليه وسلم : « تبغض العربَ فتبغضني » . وفي حديث رواه عثمان بن عفان رضي الله عنه : « مَن غشّ العربَ لم يدخل في شفاعتي ولم تنلْهُ مودتي » .

وهذا غاية ما يبلغه الشعور بالقومية لدى أي إنسان : أن يحب قومه ويحب أن يحبهم الناس .

معنى القوميـــة

« القومية » في اللغة العربية مشتقة من كلمة « قوم » .

ومعنى القومية وجود أمة بشكل تتميز به عن غيرها من الأمم نتيجة لاشتراك أبناء هذه الأمة في مجموعة من المميزات تجعلهم يشعرون بأنهم

ينتمون إليها ويتميزون عن غيرهم من أبناء الأمم الأخرى . والقومية عادة تقوم على دعائم ثلاث : اللغة والعادات والتاريخ .

وبهذا المعنى وردت القومية في آيات كثيرة من القرآن الكريم . منها : قول الله سبحانه وتعالى :

« ذلكَ بأنَّ اللهَ لمْ يكُ مغيراً نعمةً أنعمَهَا علَى قَوْمٍ حتّى يُغَيِّرُوا ما بِأنْفُسِهِمْ وان اللهَ سَمِيعٌ عَلِيم » .

(الأنفال : ٥٣)

وقوله تعالى : « ويحْلِفونَ باللهِ إنهم لمنكُمْ وَمَا هُم مِنكُمْ وَلكنّهُمْ قوْمٌ يفرقون » .

(التوبة : ٥٦)

وقوله تعالى : « انَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتّى يُغَيِّرُوا مَا بِأنفُسِهِم »

(الرعد : ١١)

وقوله تعالى : « إنّا أرْسَلْنَا نُوحاً إلى قَوْمِهِ أنْ أنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْل أن يأتِيهم عَذابٌ أليمٌ » .

(نوح : ١)

وقوله تعالى : « إن يمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلهُ ، وتِلكَ الأيّام نُداوِلُها بَيْنَ النّاس » .

(آل عمران : ١٤٠)

وقوله تعالى : « وَمَا أرْسَلْنَا مِن رسول إلا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » .

(ابراهيم : ٤)

« ولَقَدْ أرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أنْ أخْرِجْ قَوْمَكَ مِن الظُّلُماتِ إلى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأيَّامِ الله » .

(ابراهيم : ٥)

وغير ذلك من الآيات التي لم تذكر فيها كلمة « قوم » صراحة ، ولكنها تدل على معنى القومية وتؤكده ، كقوله تعالى : « وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّه . . . » فهنا تأكيد على صلة القرابة ولو أن القرآن لم يؤيد القومية ، وقرابة الشخص بأصله ونسَبه لما وردت هذه الآية وأمثالها . كقول الله تبارك وتعالى : « وَاتَّقُوا اللهَ الذي تساءلون به والأرْحام » الذي يدل على قداسة صلة الرحم .

والآية الكريمة : « قُل ما أنفقتُم من خَيرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِين » معجزة في دلالتها على الشعور القومي . فحقيقة الأمر أن الوالدين هما أقرب الناس إلى الانسان ، من حيث صلة الرحم ، يأتي بعدهما الأقل منهما قَرابة ، ثم مَن يليهم . . إلى أن تتكون أسرة . . تكبر حتى تصبح أمة . . وهكذا لو بحثنا في التاريخ لوجدنا أن العرب جميعهم ينتمون إلى أب واحد وأم واحدة .

القوميـــة العربيـــة فى القـــرآن الكريم

القومية العربية هي الشعور العام الذي يجمع بين أبناء الأمة العربية نتيجة لانتمائهم إلى هذه الأمة وامتيازهم بخصائص معينة وأصيلة ، لا يشاركهم فيها غيرهم : كاللغة ، والعادات ، والتقاليد ، والتاريخ ، والتراث ، والآمال ، والأهداف . . وغير ذلك .

والعرب كانوا أمة متميزة عن الأمم الأخرى من قبل نزول القرآن .

ويأتي تأكيد القومية العربية حاسماً في قول الله تعالى : « فاسْتمسِكْ بالذي أوحِيَ إليكَ انّكَ على صراطٍ مستقيم ، وانّهُ لذِكْر لكَ ولِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تسْألونَ » .

(الزخرف : ٤٣ و٤٤)

ونزول القرآن في منطقة بعينها ، وهي أرض العرب ، على أمة بعينها ، هي أمة العرب وبلغة العرب :

« وَإنّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين » .

(الشعراء : ١٩٢ ــ ١٩٥)

« كِتابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عرَبِيّاً لِقَوْمٍ يعْلَمُونَ ».

(فصلت : ٣)

« إنّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ » .

(الزخرف : ٣)

— كل ذلك دليل على أن الله اختار الأمة العربية ، بل كرمها بحمل رسالة الاسلام ونشر دعوته ، وهي لهذا كانت « خير أمّةٍ أخرِجَتْ للنّاس » .

والآية الكريمة « كُنتُمْ خَيْرَ أمّةٍ أخْرِجَتْ لِلنّاسِ » تخاطب العرب ، ولا يحاول أحد تفسيرها بأنها لكلّ المسلمين ، لماذا ؟

— هناك أمم يبعث منها رسل ، وأمم لا يخرج منها رسل ، والأمة العربية هي الأمة التي خرج منها الرسول عليه السلام .

— وخروج الرسول في هذه الأمة يجعلها خير أمة .

وهذه الأمة لها رسالة عليها أن تحملها لمن حولها من الناس . لأن الدعوة انتشرت بها .

ولا يترتب على كون العرب هم خير أمة أخرجت للناس أن يكون لهم أية حقوق أو امتيازات خاصة بهم دون غيرهم في قوانين الاسلام وحدود الله : « يَا أيُّهَا النّاسُ إنّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أتْقَاكُم » .

(الحجرات : ١٣)

بل يتوجب على كونهم خير أمة أخرجت للناس أن تتضاعف المسئولية عليهم في التمسك بالدين ، والدفاع عنه بالعلم والقوة ، وأن يكونوا قدوة لغيرهم من الأمم في تطبيق شريعة السماء ، وإقامة مجتمعهم على أساس من الحرية والعدل والتراحم وسائر المبادئ والقوانين التي قررها الاسلام .

« وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أمّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً »

(البقرة : ١٤٣)

ويتوجب على الأمة العربية أن تحقق بالوحدة عزتها وقوتها ، لأن الوحدة العربية – كما يقول الأخ العقيد – هي تحقيق لوحدة أكبر ثقل إسلامي على الأرض . . لأن الأرض العربية هي قلب الإسلام وهي أرض المقدسات وهي أرض الوحي ، وهي أرض الرسالات ، ومن هنا فإن مفهوم القومية العربية لا يتناقض أبداً كما يدّعي المشكّكون والرجعيون مع مفهوم الاسلام ووحدة الأمة الاسلامية .

هكذا تنسجم حركة القومية العربية مع حركة الدعوة الاسلامية بحيث يكون الاسلام روحاً والعروبة جسداً ووعاء ، وهكذا كان العرب جنوداً للإسلام من أيام النبي عليه الصلاة والسلام . ولم يكن هناك أي تناقض أو تصادم بين القومية العربية والاسلام أبداً .

طبع بالمطبعة السريعة / طرابلس
١٩٧٣

المطبعة السريعة ـ هاتف ٣٧٧٩٢